الرجل
ARRAJOL
Issue 158 May 2006 العدد 158 مايو
خادم الحرمين الشريفين
صلاة ملك... وعشق خيل معقود في نواصيها الخير

مايو- 2006

طارق الحميد

الراحل
عبد الله بن عبد العزيز
السعوديون في رقبتي

عبدالله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، خادم الحرمين الشريفين، ملك المملكة العربية السعودية. ملك تبنّى مصطلح الإصلاح، والمضي بالبلاد الى التقدم، حيث يقول «لا نستطيع الجمود في عالم متغيّر».

لكنه يقف على خط متواز يحرس الثقافة؛ فهو صاحب فكرة الجنادرية، تلك الاطلالة السنوية على التاريخ السعودي، بكل انواع الموروث الشعبي، من الفولكلور، والحرف وقيمها، مروراً بالفنون وتنوعها، وصولاً الى الأطعمة السعودية بنكهتها المميّزة؛ فالتنوع السعودي، بعيداً عن السياسة، سمة تطال الذوق والسمع..وحتى النظر.

وباتت لمهرجان» الجنادرية» ميزة حتى في ازياء المشاركين، كيف لا، وأزياء خادم الحرمين الشريفين جزء من هوية سعودية لا يمكن تجاهلها. ففي مظهره يبدو امير الصحراء الانيق القويّ، طريقة وضعه العقال على الرأس، وميزة خاصة في لباس الشماغ او الغترة، حيث وضع « المزراب» او عقد اطراف غترته بطريقة ثلاثية للأدنى.

ويشير بعض الخبراء الى ان هناك دلالات اجتماعية وتاريخية لكيفية ارتداء غطاء الرأس المعروف بالشماغ او الغترة، على هيئة معيّنة. فهناك من يربطها بسكان شمال نجد، شمال الجزيرة العربية، والبعض الآخر جعلها دلالة مميّزة على ابناء قبيلة شمّر الذين تتحدر من احدى اسرهم الكريمة، والمعروفة في تاريخ القبيلة، والدة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز.

الروايات او التفسيرات الشعبية متعددة ومختلفة ما بين القديم والحديث، الا ان هذا الشكل اصبح مميزاً للقبيلة حتى العصر الحديث، حيث تقول الشاعرة الشمرية «بنا بنت ملاقي المسطح» عن والدها الذي ذهب للغزو قبل نحو قرن ونصف القرن تقريباً:

قفوا شمال ربعنا وكبدي تقل يصلاه نار
يازين ميلت عقلهم اليا ركبوا قب المهار

غترة الملك عبدالله وعقاله، دلالة وأصالة، وامتداد لجذور تاريخية ضارة. لكن لمسة الملك الخاصة، وهي عقد اطراف

غترته بأكثر من ثنية، تكاد تكون علامة خاصة بهذا الملك العربي الأصيل.

ويقول باحث سعودي «يبدو ان ارتداء العقال بهذه الطريقة، في اصله، هو علامة على قوة القبيلة ومكانتها». ويشير الباحث السعودي، الى «ان بعض وجهاء الامراء والحكام في السابق كان يميّز نفسه بتمييز اضافي، مثل ان يسدل غترته على جبينه الى اطراف عينيه، ويصبح ذلك تقليداً للجميع».

ويضيف الباحث «من هنا فغترة الملك عبدالله وعقاله، دلالة وأصالة، وامتداد لجذور تاريخية ضاربة. لكن لمسة الملك الخاصة، وهي عقد اطراف غترته بأكثر من ثنية، تكاد تكون علامة خاصة بهذا الملك العربي الاصيل».

وعقد اطراف الغترة طريقة في اللبس لم تعرف من قبل الملك عبدالله، فلم يفعلها احد قبله، حتى ذهبت عادة بين الشباب السعودي. ويشتهر خادم الحرمين، او «ابو متعب»، كما يحب السعوديون مناداته، بانتقاء مميّز للألوان، في ثيابه، او المشلح، وكذلك في لباس ما يعرف في نجد بـ«الدقلة»، وهي عادة في اوقات الشتاء.

خادم الحرمين الشريفين صوت التقدم في السعودية، لكنه لا يتهاون في القضايا الدينية. الدين بالنسبة له منطقة:

« ربما تكون مقابلة الملوك امراً عادياً يحدث يومياً بالنسبة للامير تشارلز، الا انه يجب ان يتحلى بالحرص على الا ينطق كلمة «جلالتكم»، لأن الملك عبدالله لا يحبها.

لا تقبل التشكيك، وليس موضع مساومة. وعندما اعتلى عرش الحكم في بلاده، قال نادوني بخادم الحرمين الشريفين، لا صاحب الجلالة.

ففي حفل شعبي اقامه اهل المدينة المنورة لخادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبد العزيز، نهى الملك احد المشاركين عن مخاطبته بمفردة «يا مولاي»، مؤكداً ان المولى هو الله عزوجل.

وذات يوم كتبت صحيفة «الغارديان» البريطانية عن زيارة وليّ العهد البريطاني الامير تشارلز للسعودية، لتنصحه بما عليه ان يقوله عند لقاء خادم الحرمين الشريفين «ربما تكون مقابلة الملوك امراً عادياً يحدث يومياً بالنسبة للامير تشارلز، الا انه يجب ان يتحلى بالحرص على ان لا ينطق عبارة «جلالتكم»، لأن الملك عبدالله لا يحبها».

عبدالله بن عبدالعزيز محب للخيل، فارس يرعى اجمل الخيل العربية ويهتم بها، وعلى ذلك ربى ابناءه. والخيل العربية لمسة جمال في اعين كل من يعشق الجمال. وجمال الخيل لغة لا تخطئها العين، احب الخيل فتحلى بطباع الفروسية.

ومن ابرز خصال الفروسية الوفاء، وهو رجل الوفاء، فقد ظل - وليّاً للعهد - وفياً لاخيه الملك فهد بن عبد العزيز، رحمه الله، حتى اخر ايامه، يتحدث ويتصرف على أنه وليّ عهد، رغم ظروف اخيه الملك الراحل الصحية.

عن ذلك قال الامير سلمان بن عبد العزيز، امير منطقة الرياض في حفل اهالي العاصمة السعودية لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز «عندما نتحدث عن الوفاء فسأكون شاهد عيان...لقد كنتم اوفياء جداً لأخيكم المرحوم الملك فهد، خصوصاً في فترة مرضه».

كما عرف عن الملك عبدالله سمة التواضع والتسامح، حتى إنه في خطاب عفوي امام وفود وضيوف جاؤوا للسلام عليه في جدة، طالب بعدم تقبيل يده. وعن ذلك كتب الدكتور غازي القصيبي قصيدة بعنوان «يا فارس الاخلاق»، قال فيها:

سلمت يد.. لا تقبل التقبيلا
وسلمت للشعب النبيل.. نبيلا

وهناك اجماع بين كل من التقى الملك، على سمة باتت علامة مميّزة له، وهي الوضوح والمباشرة. وهو الملك الذي جعل الحوار في السعودية ميزة حكمه، وأحد مناهج الاصلاح، حيث قال الملك في خطاب له «أودّ ان اطمئنكم الى ان الحوار سيستمر الى الابد منكم واليكم». يقول الامير فيصل بن عبدالله بن محمد عن وضوح الملك لصحيفة «الغارديان» البريطانية ان خادم الحرمين الشريفين يعدّ اقرب خط بين نقطتين..خط مستقيم ويتعامل مع الاشياء بصورة مباشرة وواضحة.

بعد اعلانه ميزانية المملكة العربية السعودية الاخيرة قال لوزرائه «ايها الاخوة، المهم السرعة، لأنه الآن لا يوجد عذر..الآن ولله الحمد الخيرات كثيرة، ولم يبق الا التنفيذ، آمل منكم جميعا تنفيذ ما جاء في هذه الخطة بأسرع وقت ممكن».

الملك عبدالله بن عبد العزيز يسأل الرئيس بوش: سيادة الرئيس هل دماء الاطفال الفلسطينيين غير دماء باقي الاطفال؟ وهل دماء النساء الفلسطينيات غير دماء باقي النساء؟ وهل دماء غيرهم من البشر اغلى من الدماء الفلسطينية؟

وهنا قصة لا بدّ ان تروى، خصوصاً انه قد ثار إزاءها لغط كثير، نرويها اليوم بتفاصيلها التي لم يكشف الكثير منها. في لقائه مع الرئيس الامريكي جورج بوش الابن في مزرعة كروفورد بتكساس في عام 2003، حين كان الملك عبدالله بن عبد العزيز ولياً للعهد، كان حديث الرئيس الامريكي منصباً على حجم المعاناة التي خلفتها احداث 11 سبتمبر الارهابية، فردّ الملك عبدالله بأن هناك معاناة على الجانب الآخر ايضا، قاصدا القضية الفلسطينية.

في تلك الفترة كانت هناك قصة فلسطينية سيطرت على وسائل الاعلام العالمية عن امرأة فلسطينية ولدت على احد حواجز التفتيش الاسرائيلية.

في مزرعة كروفورد سال الملك عبدالله الرئيس بوش «سيادة الرئيس هل دماء الاطفال الفلسطينيين غير دماء باقي الاطفال؟ وهل دماء النساء الفلسطينيات غير دماء باقي النساء؟ وهل دماء غيرهم من البشر اغلى من الدماء الفلسطينية؟».

ولأنه من المعروف عن بوش عدم متابعته التلفزيون والنوم مبكراً، فاجأه الملك عبدالله بأن وضع امامه على الطاولة شريط فيديو ومجموعة من الصور تظهر معاناة الشعب الفلسطيني، وعلى اعتبار ان يرى بوش بعينيه افضل كثيرا من ان يسمع.

حينها قال خادم الحرمين الشريفين للرئيس الامريكي « اذا لم تستطع ان تفعل شيئاً حيال هذا الامر وهذه المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون، فسأغادر الان..واقول للناس انني لم استطع فعل اي شيء معك».

بعدها مباشرة طلب الملك عبدالله، الذي كان ولياً للعهد وقتها، من مرافقيه تحضير السيارات الخاصة بالوفد من اجل مغادرة المزرعة.

فوجئ الرئيس بوش وبادر بشكل سريع قائلاً لضيفه عبدالله بن عبد العزيز وبتأثر لاحظه الحضور» لا، لا اقبل ان تغادر بدون شيء»، ووقف بوش وعانق ضيفه الملك عبدالله، وبعد ذلك اللقاء مباشرة قال الرئيس الامريكي جورج بوش في مقابلة اجرتها معه شبكة «ايه.بي.سي» التلفزيونية مع الاعلامية الامريكية المعروفة باربرا وولترز «لي علاقة جيدة جداً مع الامير عبدالله بن عبد العزيز، وإنني اكنّ له التقدير والاعجاب، واعتقد كما نقول انه من معدن اصيل وهو نزيه وجيد».

ومنذ ذلك اللقاء، وتلك الزيارة تم التحرك الاميركي تجاه القضية الفلسطينية بعد ان كان الاميركيون قد قرروا حينها عدم التعامل مع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.

موضوع الغلاف

«سيادة الرئيس هل دعاء الاطفال الفلسطينيين غير دعاء باقي الاطفال وهل دعاء النساء الفلسطينيات غير دعاء باقي النساء وهل دعاء غيرهم من البشر اغلى من الدعاء الفلسطينية»

الملك عبد الله بن عبد العزيز يسأل الرئيس بوش

وهنا قصة لا بد ان تروى، خصوصا انه قد ثار حولها لغط كثير، نرويها اليوم بتفاصيلها التي لم يكشف الكثير منها. في لقائه مع الرئيس الامريكي جورج بوش الابن في مزرعة كروفورد بتكساس في عام 2003. حين كان الملك عبد الله بن عبد العزيز ولياً للعهد، كان حديث الرئيس الامريكي منصبا على حجم المعاناة التي خلفتها احداث 11 سبتمبر الارهابية، فرد الملك عبد الله بأن هناك معاناة على الجانب الاخر ايضا، قاصدا القضية الفلسطينية.

وعلى ضوء ذلك جاء الالتزام بدولة فلسطينية، وبذلك كان الرئيس جورج بوش الابن اول رئيس اميريكي يعلن الالتزام بدولة فلسطينية مستقلة. وهنا تظهر صراحة ومباشرة الملك عبدالله بن عبد العزيز.

وعدا عن المباشرة والصراحة عرف عن خادم الحرمين مقته للكذب الذي لا يمكن تبريره امامه. وعلى الرغم من انه يقال في السياسة «للسياسي الحق في قطع الوعود ببناء الجسور حتى لو لم تكن هناك انهار»، الا ان الملك لا يرى مبررا للكذب.

في رحلته الاخيرة الى هونغ كونغ سمعته يقول» تقولون ان اهم شيء للصحافي مصداقيته، وأقول اسوأ مافي الرجل الكذب. والرجل الكاذب لا يفقد قيمته بين الرجال وحسب بل حتى امام ابنائه واهل بيته». كتبت عنه رويترز «عرف عن الملك الصدق، ونال سمعة حسنة في كل المنطقة».

ولخادم الحرمين الشريفين شعبية كبيرة بين مواطنيه، يحبهم ويحبونه ويرى انهم امانة في عنقه، ويقول الملك في لقاء مشترك مع صحيفة الشرق الأوسط «كل سعودي هو انا» وضمّ غترته حول عنقه وقال «هم في رقبتي»، قاصداً ابناء شعبه.

كتب صحافي مجلة «تايم» الامريكية عام 2002 في قصة نشرتها المجلة، يصف مجلس الملك عبدالله حين كان ولياً للعهد عند مقابلته للناس واستماعه لمطالبهم، وهم يتحدثون بكل عفوية. ونقلت المجلة عن الامير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز تعليقاً يقول فيه للصحافي «انظر كيف يرفعون اصواتهم امامه..اين تجد اناساً يخاطبون رأس السلطة بهذه الطريقة».

ومنذ تولي الملك عبدالله بن عبد العزيز سدّة الحكم في بلاده سادت بين الشباب السعودي عادة جديدة، حيث تجد صورة الملك عبدالله موضوعة على زجاج السيارة الخلفي. يبدو فيها الملك وهو يضع لثمة يعرفها ابناء الصحراء وهي دليل على الشجاعة والاقدام، وحماية لوجه ابن الصحراء من الرمل، ومكتوب على اللوحة «صقر العروبة».

ورغم مشاغله فهو قريب من ناسه، ولا يخلو يومه من لمحات انسانية. تجده ينزل للمتاجر العامة، يتباسط مع الناس ويستمع لهم رجالا ونساء. يشارك في العرضة السعودية، ويحرص عليها. وفي مكة المكرمة شارك اهل تلك البقاع الطاهرة لعبة المزمار الشعبية.

وفعل الامر نفسه في جنوب السعودية ورقص رقصة اهل عسير بالخناجر، يحيط به قرابة عشرة الاف رجل حتى انه نقل عن الامير خالد الفيصل امير منطقة عسير قوله ان السفير الامريكي لدى الرياض وقتها قال له متعجبا «الا تخشون على امنه».

في الهند كنا نقف مع جموع من السياسيين والدبلوماسيين الهنود في قصر الرئيس الهندي، اقترب الرئيس ابو بكر زين العابدين عبد الكلام، ونظر اليّ قائلاً، ويبدو انه اعتقد من يقف امامه مواطناً هندياً،» هذا الملك الكبير عبدالله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية يحلّ ضيفاً عزيزاً على الهند». ابتسم الملك عبدالله ابتسامة ابوية دافئة، وتدخل قائلا « هؤلاء معي».